المنهج القرآني في حوار الملْحِدين

الباحث
عادل حريجة كزار الخفاجي
Alkhafaji adel@gmail.com

Quranic Approach In the dialogue of atheists

Researcher
Adel Harija Kazar Al-Khafaji

الملخص:-

يتناول هذا البحث (المنهج القرآني في حوار الملحدين) أهم الركائز الفكرية التي يُبنى عليها الفكر الإلحادي، فيُحاول الكشف عنها، وذلك ببيان الطريقة التي سار عليها القرآن الكريم في حواره معهم، وكل ذلك كان عبر بحث التأسيس المعرفي لحوار الملحدين في النص القرآني، ومعرفة التصنيف العلمي للآيات القرآنية التي كانت مادة علمية لحوارهم، وهي الآيات الكونية التي تبعث على النظر في خلق هذا الكون المنتظم، ودقة صنعه وما فيه من آيات، وهي من الدليل المنفصل أي: التأمل في كل شيء ما خلا الإنسان، إذ يقود التأمل فيها إلى الإذعان بوجود صانع لهذا الكون، ثم الآيات الأنفسية التي تدعو الإنسان إلى التفكر في نفسه، وهي من الدليل المتصل أي: التفكر في خلق الإنسان نفسه منقطعاً عن كل دليل آخر.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الحِوار، المُلْحِد، الإلْحَاد، الدليل الكوني، الدليل الأنفسي، الميتافيزيقيا.

Abstract:-

This research deals with (The Qur'anic approach in the dialogue of atheists) The most important pillars of intellectual thinking on which the atheist, And tries to detect them, And to clarify the way the Koran went in their dialogue, Through the research of the establishment of knowledge of the dialogue of atheists in the approach of the Koran,And knowledge of the scientific classification of the Koranic verses, which was a scientific material for their dialogue, Which are the cosmic verses that give rise to the consideration of the creation of this regular universe ,And the accuracy of workmanship and what is in the verses, It is a related directory ie.

Keywords: Methodology, Dialogue, Atheist, Atheism, Universal Guide, Psychological evidence, Metaphysics.

مقدمة

إنَّ القرآن الكريم قد بيّن لكل أمر منهجاً، وأعطى لكل شيء مثلاً، عبر آياته التي بـ ـها يتجلّى العمى، ويتعقلها أهل الحجى، ومن ذلك ما جاء منهجاً قويماً حاور ـبه الملـ حدين، عرضتُ له وبينتُ مواضعه في الكتاب الكريم، معتمداً في ذلك على أكـثر ـمن ـمنهج في البحث، إذ اعتمدت على المنهج الاستقرائي، والتحليلي، ثم المنهج الوصفي، وقد ساعدتْ تلك المناهج على دراسة النصوص القرآنية التي تضمنتْ ما ذكرتُه، فجاء البحث مـ شتملاً على ثلاثة مباحث، كان المبحث الأول منها معقوداً لبيان التأسيس المعرفي للحوار القرآـني مع الملحدين، أما المبحث الثاني فقد عنى ببيان التصنيف العلمي للآيات القرآنية التي كانت مادةً للحوار القرآني مع الملحدين، والمبحث الثالث جاء بأمثلة تطبيقية، يحسب البا حث أنَّ دراستها على وفق المنهج الموضوعي في تفسير القرآن يمكن أنْ يُعطينا منهجاً متكاملاً للحوار مع الملحدين، والرد على شبهاتهم، ثم خاتمة فيها نتائج توصل إليها البحث.

وكانت المصادر والمراجع التي استقى منها البحث مادته العلمية عبارة عن مجموعة من كتب التفسير، والمعاجم اللغوية، وكتب النحو، والصرف، والتاريخ، وغيرها من المـ صادر والمراجع الحديثة.

المبحث الأول

التأسيس المعرفي للحوار القرآني مع الملحدين

المطلب الأول

الإطار النظري والبُعد المنهجي للبحث

للمنهج تعريفات عديدة جاءت في كتب اللغة، لـ كنّ مؤدا ـها وا حدٌ وإنْ اختلـ فت الألفاظ، فالمنهج في اللغة مشتق من نَهَجَ، ومن ذلك ((يُقال: نَهَجَ الطريق: بيّـنه و سلكه... والمنهاج: الطريق الواضح، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1]))[2]، والمنهج في الاصطلاح هو ((طائفة من القواعد العامة التي تنطوي على إشارات وتوجيـ ـهات كلـ ـية يهتدي بها الباحث في أثناء بحثه من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية))[3]، بشرط الالتزام الفعلي بالمنهج المتّبع، ولا يُحاد عنه مهما كانت الأسباب.

وبين المنهج القرآني والمنهج البشري فرقٌ كبيرٌ، وهو الفرق ما بين السماوي الإلهي، والبشري الأرضي، لذا يظهر جلياً التزام القرآن الكريم منهجاً واحداً في حواره مع الملحدين وحجاجهم، حتى مع اختلاف أنواع الحوار، إذ كان واضحاً من آياته أنَّه قد اتبع المنهج العقلي والاستقرائي، وحث عليهما في حواره مع المنكرين لحقيقة الدين ونظرياته التي جاء بها، ومن الحق أنَّ القرآن الكريم لاغاية له من حواره غير الهداية إلى سواء السبيل، فهو ((الناصح الذي لايغش، والهادي الذي لايُضل، والمحدِّث الذي لايكذب، وما جالس أحد هذا القرآن إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصانٍ من عمى)) (٤).

وللحوار أنواع عديدة يمكن التعرف عليها بعد معرفة الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمفهوم الحوار، فالحوار في اللغة له دلالات عديدة أيضاً، يُفهم معناها عبر التوجه إلى السياق الذي جاءت فيه، وقد وردت مادة لفظه على اختلاف هيأتها أربع مرات في القرآن الكريم، وهي:

١- ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٥).

٢- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (٦).

٣- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧).

٤- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ (٨).

فهذه الآيات الشريفة بمجملها تعطينا معنى لغوياً للحوار، قال عنه الزمخشري(ت:٥٣٨هـ): ((وحاورته: راجعته بالكلام، وهو حسن الحِوَار، وكلّمته فما ردّ عليّ مَحُورَةً، وما أحارَ جواباً أي: مارجع))(٩)، إذاً المعنى اللغوي العام للحوار هو الرجوع، أما الحِوار في الاصطلاح فهو مأخوذ من المعنى المعجمي، ولايكاد يختلف عنه، فإنّ معنى ((حاور صاحبه جاوبه وراجعه الكلام))(١٠)، ومما سبق يتضح أنَّ الحِوار يحقق اتصالاً بين طرف أو أكثر، وينطوي على كثير من الأبعاد النفسية والفكرية، ومن عجيب نظم القرآن الكريم أنَّه لم يخصَّ حواره بأحدٍ من الناس وإنْ كان سبب نزول النص القرآني

شخصاً معيناً، بل كان يُعالج المسألة بحواره غير المباشر؛ ليمتدَّ ذلك الحوار عبر زمان لا حد له، ومن ذلك ماجاء في سورة يس المباركة، إذ أنكر فيها شخصٌ أصل الخلق والمعاد، و هو إنكارٌ إلحادي مزدوج، أي: يُنكر الجاحد فيه أصل المبدأ، وأصل البعث ا لذي يؤمن به الدينيون، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[١١]، وقد قيل: إنَّ ذلك الشخص هو عبد الله بن أُبي، وقيل: العاص بن وائل السَّهمي، وقيل غيرهما[١٢].

وأنواع الحوار هي: حوار الخطاب، وحوار الاستجواب، و حوار الاقناع، وا لحوار التقريري، وحوار التوضيح، ثم حوار التعليم والتوجيه[١٣]، وعلى مايبدو فإنَّ أنواع الحوار تختلف باختلاف الغاية المرادة منه، فحينما نستقرء النصوص القرآنية -التي ستأتي في طيات البحث-يظهر أنَّ القرآن الكريم قد استعمل في حواره مع الملحدين هذه الأنواع جميعها؛ وذلك لاختلاف أنواع الإشكالات؛ والانكارات التي تقدّموا بها، وا لتي ت ضمنت إن كار الخالق، وأصل الخلق اللازم لهذا الإنكار؛ ولأنَّ القرآن الكريم كان يهدف إلى تحقيق الهداية لهم؛ لذا اختلف نوع الحوار معهم، وهذا ما يغلب على الظن فيما يبدو من النصوص القرآنية موضع البحث.

وبقي أنْ نتعرف على المفهوم اللغوي للمُلْحِد، وذلك يوجب معرفة المادة اللغوية ا لتي اشتُق منها هذا الاسم(مُلْحِد)، قال ابن فارس(ت:٣٩٥هـ): ((لَحَدَ: اللام والحاء أصلٌ يدل على ميل عن استقامة. يُقال: أَلْحَدَ الرَّجل، إذا مال عن طريقة ا لحق والإيمان. و سُميَّ اللّحدُ؛ لأنَّه مائلٌ في أحد جانبي الجدَث. يُقال: لحدتُ الميتَ وألحدتُ، والمُلتَحَدُ: الملجأ، سُميَّ بذلك لأنَّ اللاجىء يميل إليه))[١٤]، والمفهوم من ابن فارس أنَّ مادة (لَحَدَ) تُعطي معنى الميل وإنْ اختلفت هيئتها، وبناءً على هذا التعريف يكون الملحد هو الكافر بأصل فكرة الدين ووجود الإله، أو المعتقد بها بيد أنَّه أشرك في التطبيق الخارجي لماهية الإله، ويوافقه على ذلك الراغب الإصفهاني (ت:٥٠٢،٤٢٥هـ) في المفردات[15]، و قال الفيومي (ت:٧٧٠هـ): ((لَحَدَ الرَّجلُ في الدين لَحْداً وألْحَدَ إلْحَاداً طَعَنَ))[١٦]، والملحظ في هذا القول أنَّ الفيومي خصّ دلالة (لَحَدَ) بالمعنى الاصطلاحي للملحد لا بالمفهوم اللغوي له، وذلك يعني أنَّه يتفق مع قول ابن فارس والراغب الأصفهاني، والظاهر أنَّ الاستعمال

القرآني لهذا اللفظ يؤيد ماذكروه، لذا أجد ماذهبوا إليه أميل إلى الصواب، و يُزاد عليه أنَّ لَحَدَ وصيغها المشتقة من مادتها قد تُعطي معنى الإخفاء والستر. وقد جاءت مادة (لَحَدَ) في القرآن الكريم بهيئات عديدة تُعطي كل هيأة معنى يرتبط بالسياق الذي جاءت فيه، و هي بمجملها لاتخلو من معنى الميل، وكان ذلك في خمسة مواضع من القرآن الكريم، وهي الآتية:

١- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾(١٧).

٢- ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾(١٨)، ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾(19).

٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢٠).

٤- ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢١).

٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٢٢).

ومادعاني إلى الاعتماد على المعاجم اللغوية في بيان معاني المفردة موضع البحث ولم اعتمد كتب التفسير في ذلك؛ لأنَّ البحث هنا عن المعنى المعجمي الذي تدل عليه المفردة لا المعنى التفسيري العام الذي تُشير إليه الآية؛ ولأنني في صدد بيان المعنى اللغوي لمفردة(مُلْحِد).

أما الإلْحَاد في الاصطلاح فهو ((ترك الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون))(٢٣)، و هذا التعريف يُستعمل أيضاً في بيان ماهية المُلْحِد، والصفة التي يكون عليها، والعقيدة التي يلتزم بها، فيُمكن أنْ يُقال إنَّ المُلْحِد هو من تَرَكَ الاعتقاد بوجود إله لهذا الكون، فالقول في ذلك ينحل إلى (مُلْحِد+مَلْحُود فيه= إلحاد)، مثلما نقول: (مسند+مسند إليه=إسناد).

وللملحدين تسمية أخرى هي (الدهريّة أو الدهريّون)، وإلى هذا الرأي يذهب المفسرون، مستدلين في ذلك على الفكرة التي ينطلق منها الاثنان(المُلْحدين-الدَّهريين)(٢٤)،

وهي إنكار خالق لهذا الكون العجيب في نظمه، وإدعاءهم أنَّ المادة هي التي تخلق نفسها بنفسها، فتوجد وتُعدم متأثرةً بالعوامل الطبيعية للمادة، قال تعالى واصفاً حالهم الذي هم عليه: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[٢٥]، وهم بهذا القول ينفون أي شيء وراء المادة والطبيعة؛ لأنَّ الإيمان بالجانب الغيبي - بنظرهم - لايستند على محسوس[٢٦]، ولايعتمد على تجربة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ مفهوم الإلحاد في القرآن الكريم يتخذ معنى أوسع من المعنى التداولي الاصطلاحي الحديث، إذ نجد في النصوص القرآنية الشريفة أنَّ كل من طلب رؤية الخالق شاخصاً أمامه في صورة مادية محسوسة فهو ملحد؛ ذلك بأنَّه أنكر الجانب الغيبي لفكرة الإله، وأعطاه صفات المخلوق (الوجود المادي)، وتغافل عن آياته في الخلق، وهذا المشترك الفكري كاف فيما يبدو لصحة هذا الرأي، سواءٌ أكان المُنكر ملحداً لفكرة الدين بصورة كلية، أم كان مؤمناً بفكرة الدين والآله إلا أنَّ التطبيق الخارجي(المصداق) قد أشكل عليه، فعبد صنماً أو غيره من الأشياء التي تُدرك بالحواس، ومما يُعضد ذلك هو المعنى اللغوي لمفهوم الإلحاد وهو الميل المطلق غير المقيد بفكرة الإله أوغيرها، بل كل ميل عن الدين يُسمى إلحاداً في النص القرآني، وبناء على ذلك يكون الشرك، والكفر، من أقسام الإلحاد في النص القرآني، إذ الجامع هو الميل في كل.

المطلب الثاني

الاستعمال اللغوي للحوار القرآني مع الملحدين

- أولاً: في المفردة المعجمية:

لايختلف اثنان في كون المفردة المعجمية لها معنى في نفسها مقطوعاً عن أي سياق جاءت فيه، والسياق لايمحو معناها الذي وضعت له، بل يأتي معتمداً على دلالتها التي وضعت لها، مع زيادة معنى في السياق الذي استعملت فيه، ومن أجل ذلك عنى النص القرآني باستعمال المفردات واختيارها في منهجه الحواري مع الملحدين، ومن ذلك استعماله مفردة(عَقَل) ومشتقاتها في الحوار، فـ ((العقلُ نقيض الجهل.عَقَلَ يَعْقِلُ عَقلاً فهو عاقل. والمعقول: ما تعْقله في فؤادك. أو يُقال: هو ما يُفهم من العَقْل))[٢٧]، وقد استعمل القرآن الكريم في هذا المورد مفردة(فَكَرَ) أيضاً، ومعنى ((فَكَرَ: الفِكْرُ اسم التَّفَكُّر.فَكَّر في أمره

وتَفَكَّر، ورجلٌ فكَّيرٌ كثير التفكر والفكرة والفكر وا حد))[٢٨]، و هذان الا ستعمالان للمفردتين (عَقَلَ، فَكَرَ) لهما من الوضوح ما لايخفى، فالعقل هو جوهر الإنسان الذي يعقِل به الأشياء التي حوله، والفكر هو تلك الحالة العقلية التي بها يختلف الإ نسان عن سائر المخلوقات البهيمية الأخرى، إذ به يتم النظر والتأمل في حقائق الأشياء، فإنَّ ((ال صحيح بالنظر الجامع في الخطاب الديني، والتعليمات الدينية أنَّ الدين-وفق المنظور الديني نف سه - يتقوّم بالعقلانية العامة، ويعتمد عليها، ويُساعد على تنميتها))[٢٩]، بل لايُم كن أنْ يو جد نوعٌ للحوار في النص القرآني، أو غيره إلا بوجود العقل، لأنَّ به ينماز الصحيح من السقيم، وبه يُستدل على حسن الأشياء وقبحها، مجردةً عن أي نظرية للدين، والشاهد ع لى ذ لك قول الحق تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣٠]، وهذا استدلال بالآيات الكونية التي لا شك ولا خلاف في وقوعها وإدراكها، لكنَّ الشك والخلاف قد وقع في موجِدها، لذا حرَّك ا لنص القرآ ني العقولَ للتأمل في هذه العلامات(الآيات)التي ستدل بلا ريب على خالق حكيم.

- ثانياً: في الصيغة الصرفية:

هناك صيغة معينة استعملها القرآن الكريم في حواره مع الملحدين، أ كاد أق طع أنَّ ها استُعملت في كل الآيات التي كانت موضعاً للحوار معهم، وهي صيغة(يَفْعَلُونَ) التي يختم بها القرآن الكريم أيَ حوار له مع الملحدين وسيأتي ذكر ذلك لاحقاً[٣١]، و هذه ال صيغة تعطي دلالة قرّرها أهل علم الصرف في أبوابه، فهي تُستعمل لتدلَ ع لى دلالات عد يدة منها: الزمان المضارع، الذي يدل على الحال والاستقبال في أصل الدلا لة العا مة، وتُق يّد دلالته إذا سبقته بعض الأدوات التي تقيّده بأحدهما[٣٢]، والدلالة الأخرى لهذه ال صيغة هي الاستمرارية في الحدث[٣٣]، وذلك يعني أنَّ القرآن الكريم قد فتح باب ا لحوار مع الملحدين، ولم يُقيّد الحوار بزمان معين؛ وذلك يعني أيضاً أنَّ النص القرآني متحرك و غير ثابت، بل هو غضٌ، طريٌ، صالح لكل زمان، فلاتنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائ به، وإلى هذا أشارت نصوصٌ إسلامية كثيرة، تؤكد هذا المدعى[٣٤]، لمن أراد البحثَ م سلكاً قا ئداً إلى سبيل الرشاد.

- ثالثاً: في التركيب النحوي:

لاأعني بالتركيب النحوي ذلك التركيب القائم على القاعدة النحوية المعيارية، بل المقصود هو التركيب النحوي الذي تكفل به علم المعاني، الذي أرجع بعض الباحثين علم النحو له[٣٥]، وبناءً على ذلك فإنَّ المَلْحَظ في الآيات القرآنية التي اختصت بحوار الملحدين كانت المزية فيها أنَّها تشتمل على حرف التوكيد(إنَّ)الذي لايؤتى به إلا في الموضع الذي يكون مجالاً للشك، وقد توافرت النصوص القرآنية التي اختصّت بحوارهم على هذا الحرف الذي يؤتى به لتوكيد الخبر الانكاري[٣٦]، وهذا متفق عليه عند أهل البلاغة العربية من دون شك، وهو يوائم مقتضى حال الملحدين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣٧]، وبالنظر لهذا النص الشريف يظهر أنَّ تسخير ما في السموات والأرض كان موهوماً بأنَّه من فعل الإنسان، وذلك بما أوتي من قوة في السيطرة على مافيهما من أشياء، سواءٌ أكانت حيوانات أم غيرها، فجاء النص القرآني ليدحضَ هذا الرأي المغلوط المجافي للصواب، بأنَّ ذلك كان من الخالق لا منهم، وذلك مُستفاد من دلالة الحرف(مِنْ) والضمير الذي أتصل به، العائد على الله تعالى، فاحتاج هذا الإخبار إلى توكيد بالحرف(إنَّ)؛ ذلك بأنَّ هذا الخبر يُخالف ما ذهبت إليه عقولهم، وكل ذلك يُفهم من التحليل اللغوي للنص موضع التمثيل، وهناك إشارات من بعض المفسرين توحي بذلك[٣٨]، والله تعالى أعلم.

المطلب الثالث

من تاريخ الإلحاد وجذوره الفكرية

أجد من تمام البحث أنْ اتناول بعرض يسير تاريخ الإلحاد وجذوره الفكرية[٣٩]، فإنَّ الفكرة الأصلية التي ينطلق منها هذا الفكر هي إنكار الإله، وهذا يستلزم منه ضرورةً إنكار خلقه للكون، وإنَّما الكون وجد مصادفةً في معتقدهم، ثم يتفرع من ذلك إنكار الحياة الأخرى (عالم الآخرة) التي يعبر عنها الملحدون بالميتافيزيقيا (وهي حياة مابعد الموت أو ماوراء الطبيعة)[٤٠]، وهي حياة لايُمكن أنْ تُدرك بالحواس، أي: ليست من عالم المادة الذي يُصنف علمياً أنَّه عالم المحسوسات، ومما يتفرع من ذلك في الفكر الإلحادي أيضاً إنكار المبادئ السامية والأخلاق العليا، مثل العدالة، والنزاهة، والجمال، والحق، والتعاون

الإنسان كأي مادة من مواد الطبيعة التي اكتُشفت من لدن العلماء، وبهذا تنطبق على الإنسان خواص وقوانين المواد، وكذلك فإنَّ التاريخ في نظر الملحدين لايُمثل أيَ معنى أو قيمة، إذ يُعدُّ تجسيداً للجريمة والصراعات في مبناهم الفكري هذا[٤١]، وبناءً على ذلك فإنَّ هذا الاتجاه ((يُنكر أصل وجود الخالق، ويزعم أنَّ المادة أزلية، وقد أدّت تقلباتها إلى وجود هذا الكون، وهذه الحياة بكائناتها كلها في فترة زمنية طويلة))[٤٢]، وهذا مايسمونه بالتولد الذاتي، أو التكوين التلقائي، أو انبثاق الحياة من اللاحياة، وهذا ما أثبتت النظريات العلمية المتطورة بطلانه[٤٣].

وأما المدة الزمنية التي ظهر فيها هذا الاتجاه الفكري يُمكن أنْ تُحدّ بمعيار مركب، وذلك يعني أنَّ الفكر الالحادي قد وجِد بظهور الاعتقاد الديني الذي قضى أنَّ للكون إله خالق، فوُجِد الالحاد فكراً رافضاً لهذا الاعتقاد؛ لأنَّه لايرى دليلاً حسياً واضحاً يُبرهن على وجود إله، لذا نجد أنَّ النصوص القرآنية -موضع البحث-جاءت لتركزَ على هذه الجزئية المهمة في الحوار مع الملحدين، فإنَّ وجود الله تعالى ((أعظم وجود والدلائل عليه أظهر الأدلة))[٤٤]، لِمَنْ تحرر من ربقة التجاهل، وقيود المادة.

وقد عاب المُلْحِدة على الدينيين إيمانهم بالخالق إذ قالوا: ((لقد آمن بالله من آمن دون أنْ يراه بحس، ويتناوله بتجربة، وإنَّما فرض وجوده ليُفسر به الكون ونظامه الحكيم الدقيق بعد العجز عن تفسيره بالعلم ومنطق الحس، زاعماً أنَّ مثل هذا النظام الكوني لايُمكن أنْ يصنعه شيء إلا قوة خارقة فوق المادة والطبيعة، ثم قال الجاحدون: وهذا مردود أولاً: لأنّه إيمانٌ بالغيب، ثانياً: إنَّ النظام الكوني تولّد من نفس الكون لا من قوة خارجة عنه، وقد أودعت فيه النظام والانسجام - كمايدعي المؤمنون - ويُعرف هذا التعليل بالتولد الذاتي والتفسير الميكانيكي))[٤٥]، إذ يجدونَ أنَّ إحالة فكرة وجود الخالق وصورته الحسية إلى الغيب، يلزم منه عدم وجود خالق؛ لأنَّ الغيب لايُدرك بالحواس، وللإمام جعفر الصادق عليه السلام قول في ذلك حينما سأله ملحد، مالدليل على صانع العالم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ((وجود الأفاعيل التي دلّت على أنَّ صانعها صنعها، ألا ترى أنَّك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني، علِمتَ أنَّ له بانياً وإنْ كنتَ لاترى الباني، ولم تشاهده))[٤٦]، وهذا نقضٌ للدليل المادي بأخصر عبارة كما هو واضح.

المبحث الثاني

آيات الاستدلال القرآني على وجود خالقٍ

يتناول هذا المبحث التصنيف العلمي لآيات الاستدلال القرآني على وجود خالق لهذا الكون المنتظم، والمقصود بهذه الآيات هي تلك الآيات التي تنطلق من مبنى عقلي غير مسبوق بفكرة تأسيسية أو بنائية قد ارتبط نشوءها بمعلومات مسبّقة(مكتسبة)، بل هي آيات تحاور العالِمَ والجاهلَ على حد سواء، معتنقاً لدينٍ أو غير معتنقٍ، معتمدةً على ما هو مسلَّم عند بني البشر يقيناً، ويُسمى ذلك عند أهل المنطق بالمشاهدات ((وتُسمى أيضاً المحسوسات، وهي القضايا التي يحكم بها العقل بواسطة الحسّ))[٤٧]، الذي يتحصّل به العلم، و هي الحواس الخمس التي يُدرك بها الإنسان الأشياء، ويحصل له العلم بوجود ها، وإنَّ هذا النوع من الآيات القرآنية في حوار الملحدين جمعه الخالق تعالى في قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٤٨]، فالمقصود بالآفاق هي الآيات الكونية ومافيها من ظواهر تدل على خالق لهذا الكون، سواءٌ أكانت في الأرض أم في السماء، أ ما الأنف سية فهي تلك الآيات التي تدعو الإنسان إلى النظر والتفكر في بدنه، وجسمه، وروحه، ومعنوياته[٤٩]، ومع ذلك تجعل الآيات القرآنية حرية فكرية للمتدبر في أسرار هذا الكون، وإنَّ عدم الإيمان بتلك الآيات ما كان إلا لموقف نفسي لاعقلي، وذلك بعد أنْ أقام القرآن الحجة والبرهان على المنكرين للخالق المثبتين للخلق! وهذا ما سيتم بحثه بالمطالب الآتية:

المطلب الأول

الآيات الكونية

وهي الآيات القرآنية التي تتحدّث عن هذا الكون، وتُبيّن أسرار خلقه المنتظم، أو هي الآيات القرآنية التي تبعث الإنسان على التفكر بكل شيء ما عداه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٥٠]، وقد جاء في الخبر عن النبي ﷺ قوله في هذه الآية: ((ويلٌ لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتدبرها))[٥١]، أي: رتّب النبي ﷺ الذم على من لم يتدبر هذه الآية، ولم يستدل بها على وجود الصانع لهذا الكون، فيجب أنْ تكون هذه الآية دليلاً يلزم العلم به العلم بشيء آخر[٥٢]، يكون علامة لكل ذي لبٍ أنَّ

لهذا الكون صانع حكيم، لذا قيل إنَّ إثبات معرفة خالق الكون تكون العمدة فيه هي الأدلة العقلية[٥٣]، وثمةَ آياتٍ أخرى تدعو إلى النظر مافي السماوات والأرض من مخلوقات، ولكنَّ تعطيل العقل قد حال دون ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٥٤]، ففي هذه الآية أمر للناس بأنْ ينظروا إلى ما في السموات والأرض من مخلوقات مختلفة متنوعة، وما يسودها من نظام وانضباط عجيبين، يقود التدبر فيها إلى الإيمان بالصانع، وحكمته، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٥٥]، وهذا النوع من الاستدلال القائم على المشاهدة والتدبر يُسمى عند أهل الكلام استدلالاً بالأثر على مؤثره[٥٦]، لذا ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ت:١٤٨هـ) أنَّه عليه السلام كان يستدل بهذا الاستدلال في حواره مع الملحدين، إذ روى الشيخ المفيد(ت٤١٣هـ) ((أنَّ أبا شاكر الدّيصاني وقف ذات يوم في مجلس أبي عبد الله عليه السلام فقال له: ... ماالدليل على حدوث العالم؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام من أقرب الدليل على ما أذكره لك، ثم دعا ببيضة فوضَعها في راحته وقال: هذا حصنٌ ملموم، داخله غرقيء رقيق تُطيف به كالفضة السائلة والذهبة المائعة، أتشكُ في ذلك؟ قال أبو شاكر: لاشك فيه، قال أبو عبد الله عليه السلام: ثم إنّه ينفلق عن صورة كالطاووس، أدخله شيءٌ غير ماعرفتَ؟ قال: لا، قال: فهذا الدليل على حدوث العالَم، فقال: أبو شاكر: دللتَ أبا عبد الله فأوضحت، وقلتَ فأحسنتَ، وذكرت فأوجزتَ، وقد علمتَ أنّا لا نقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بآذاننا، أو ذقناه بأفواهنا، أو شممناه بأنوفنا، أو لمسناه ببشرتنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ذكرت الحواس الخمس وهي لاتنفع في الاستنباط إلا بدليل، كما لاتقطع الظلمة بغير مصباح))[٥٧]، ثمّ يعقّب الشيخ المفيد على هذا القول قائلاً: ((يريد عليه السلام أنَّ الحواس بغير عقل لا تُوصل إلى معرفة الغائبات، وأنَّ الذي أراه من حدوث الصورة معقول يُبني العلم به على محسوس))[٥٨]، وبناءً على مقولة الشيخ المفيد؛ في شرحه لكلام الإمام الصادق عليه السلام تكون هذه إحالة عقلية في الاستدلال على وجود الخالق.

المطلب الثاني

الآيات الأنفسية

هناك آيات قرآنية عديدة، تحث على النظر، والتفكر في النفس الإنسانية التي خلقها الله تعالى، وغالباً مايكون استعمال لفظ النفس في القرآن الكريم يشمل الهيكل الإنساني كله، وهذا ما يوضحه قول الحق سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٥٩]، والحق الذي لا شك فيه أنَّ المقطع الأول من الآيتين لايشتمل على المطلوب في البحث؛ ذلك بأنَّ الآية الأولى تخصُّ الموقنين والكلام هنا عن المنكرين فحسب؛ ولكنْ لغرض تمام المعنى ذكرتُ الآيتين معاً، فالمقطع الثاني منها ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، يدعو إلى النظر والتفكر في النفس وفي أسرار خلقها اللا متناهي، واللافت للنظر أنَّ القرآن الكريم ماينفك يذكر التفكر بالنفس مقروناً مع التفكر في أمر السماوات والأرض وخلقهما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[٦٠]، غير أنَّ هذه الآية تحتمل توجيهاً آخر، فقوله تعالى: ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾ قد يكون ظرفاً، والمعنى((أو لم يتفكروا في حال الخلوة؛ لأنَّ في تلك الحال يتمكن الإنسان من نفسه؛ ويحضر ذهنه؛ ويستجمع طاقاته الفكرية، أو متعلق التفكر، فيكون المعنى: أو لم يتفكروا في أمر أنفسهم كيف هي مخلوقة، ومافيها من الدقة والإحكام في البنيان والإنسجام بين أعضاء البدن وخلاياه وأنسجته، التي لمّا تزل أسرارها تتجلّى مع تقدّم العلوم وتطورها))[٦١]، فيبدو لي من ذلك أنَّ الرأين يتحملهما التوجيه اللغوي للنص.

ونجد تراثاً روائياً ضخماً قد نحى هذا النحو في معرفة الخالق، إذ جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ أنَّه قال: ((أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه))[٦٢]، وفي هذا الحديث أُلفت رسالةٌ مستقلة تناول فيها المصنف أسرار هذا الحديث وأبعاده[٦٣]، ومما لاشك فيه أنَّ ذلك التفكر في النفس الإنسانية سيكون طريقاً موصلاً إلى القطع بأنَّ هناك خالقاً لها، فإنَّ حكمته في الخلق تُوصل إلى الإذعان بوجوده، وما ذلك البعث القرآني على التأمل في الآيات الأنفسية أو الكونية على حد سواء، إلا إرجاعاً للإنسان إلى الفطرة التي فطره الله تعالى عليها، وهي تقتضي الإيمان بخالق الكون من دون إقامة أي دليل على ذلك.

وبعدُ فإنَّ الدعوة إلى التفكر في النفس يُمكن أنْ يُفهم له معنى آخر تُساعد عليه نصوص قرآنية كثيرة، منها آية الذّر على سبيل التمثيل لذلك، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾[٦٤]، فهذه الآية الشريفة تُثبت أنَّ الاعتراف بالخالق كان قبل الإتيان لهذا العالَم، وقد سمّى المفسرون ذلك بالتوحيد الفطري، وهو مكملٌ للتوحيد الاستدلالي القائم على الدليل، بل هو أصله؛ لأنَّ العهد في الآية عهدٌ تشريعي أودعه الخالق تعالى بصورة إحساس داخلي في عقول بني آدم وأفكارهم ويسّمى ذلك بعهد(الست)[٦٥]، وفي النص دلالات تجدر الإشارة إليها، ومنها قول الحق تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، ولم يقل: ألستُ بإلهكم؟ أو ألستُ الله؟ فالظاهر لأنَّه كان في مقام الاشهاد لا مقام التكليف.

ومن الآيات الشريفة التي تؤيد هذا الاتجاه الفطري عند الإنسان وتؤكده أيضاً، قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[٦٦]، يُبيّن صدر الآية أنَّ الرسل قد افتتحوا قولهم بإستفهام استنكاري ذكره الحق تعالى عن لسانهم وهو قولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ويظهر أنَّ هذا الاستنكار ماكان إلا بناءً على الحقيقة المسلّمة في أنفسهم، وهي تلك الفطرة التي تدعوا إلى الاعتراف بخالق لهذا الكون، ومن ملازمات هذا الاعتقاد هي العبادة، ولا يُحصر هذا التوجه الفكري بالدينيين فحسب، بل يشمل حتى المُنكرين وهذا مايبدو من النص، ومايعزز هذا الزعم هو آخر الآية ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾، إذ كان هذا القول للمنحرفين الذين طلبوا دليلاً على وجود الله تعالى، فتكون العبادة له فرعٌ عن الإيمان بوجوده أصلاً.

وهذا الدليل الفطري على وجود الخالق نجده بكلمات الإمام الحسين بن علي الشهيد عليه السلام في دعاء عرفة المروي عنه عليه السلام إذ يقول: ((وخلقتني من التراب ثم اسكنتني الأصلاب آمناً لريب المنون، واختلاف الدهور والسنين، فلم أزل ظاعناً من صُلب إلى رحِم... إلهي ترددي في الآثار يوجب بُعد المزار، فاجمعني عليك بخدمة تُوصلُني إليك كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك؟! أيكونُ لغيرك من الظهور ماليس لك حتى يكونَ هو

المُظهرُ لك؟!، متى غبتَ حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ... وإنْ أطعتكَ فقد دفعتني العوالِمُ إليك))[٦٧]، فيُفهم من كلامه عليه السلام رسوخ الدليل الفطري الدال على وجود الخالق في نفس الإنسان، وما الآثار الكونية التي تدل عليه إلا مكملةً لما أُودع في النفس الإنسانية، وهذا ما توّصل إليه بعض علماء الغرب من اللاهوتيين، بأنَّ ((القلب يحسّ الله، وهذا هو الإيمان: استشعار الله بالقلب لا بالعقل))[٦٨]، وكان ذلك رداً على الفكر المادي(الالحادي) الذي علل وجود الأشياء بالمادة، فما كان له أثر مادي عندهم فهو موجود، وإلا فلا.

المطلب الثالث

الموقفان العقلي والنفسي للملحدين

لم يكن الموقفان العقلي، والنفسي للملحدين مبنيانِ على حجة تُقابل تلك الحجج التي جاء بها القرآن الكريم في حواره، بل بالوسع أنْ يُقال هما موقفان اعتمدا على مغالطات واضحة كانت ردة فعل للهزيمة النفسية التي لقيها الملحدون من الأدلة القرآنية والبراهين، فيُمكن أنْ يُتصَور بقراءة نظرية البرهان أو ما تُسمّى بنظرية الاحتمالات[٦٩] للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إذ دخل يوماً عليه رجل من الزنادقة(الملحدين)، وجرت محاورة بينه وبين الإمام قال عليه السلام له فيها: ((أيها الرجل أرأيت إنْ كان القول قولكم-وليس هو كما تقولون- ألسنا وإياكم شرعاً سواء، لايضُرُّنا ماصلَّينا وصُمْنا وزكَّينا وأقررنا، فسكت الرجل، ثم قال أبو الحسن عليه السلام: وإنْ كان القول قولنا-وهو قولنا-ألستم قد هلكتم ونجونا))[٧٠].

ومع ذلك كله نجد الإيمان بوجود خالق للكون أو عدم الإيمان بذلك لم يكن إجباريا للمنهج القرآني في حواره مع الملحدين، بل نجد الأمر فيه متروكاً للإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٧١]، فإنَّ الله تعالى وإنْ ((فطر العباد على عبادته والاعتراف بوحدانيته إلا أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت الاختيار والإرادة للإنسان في ملازمة الفطرة أو النكران والعصيان))[٧٢]، وهذا ما يتسالم عليه الفكران الإيماني، والإلحادي بلاخلاف، ولكنَّ الخلاف بينهما في فلسفة هذا الاختيار، إذ يرى الفكر الديني أنَّ هذا الاختيار هو اختيار تشريعي خصَّ الخالق تعالى به الناس، أما الفكر الإلحادي فيرى أنَّ الإنسان حقيقة كبرى، وحريته فوق أي اعتبار آخر، وينحاز عن غيره من الكائنات

بالاختيار، وهذا يؤكد ذات الإنسان ووجوده عبر المواقف التي يختارها وينخرط فيها، ولاوجود لأية قوة، أو مبدأ، أو شريعة تفرض نفسها عليه(٧٣).

وما العلم الحديث إلا ذريعةٌ يتمسك بها الملحدون اليوم؛ لكونهم يخالون أنَّ العلم الحديث يتنافى والإيمان بالله، ويناقضه بنتائج أثبتها علم الطبيعة، وعلم الأحياء، وعلم النفس(٧٤)، بيد أنَّ هذا الزعم يحتاج إلى دليل علمي لايكون المرجع فيه التعصب لفكر، أو الإنتصار لمذهب، فالفكر الإلحادي الذي يعيب على الديني اعتناقه لعقيدة - هو يرى أنَّها صواب بحسب ما ثبت لديه بالدليل-قد تغافل عن الإلحاد كونه عقيدةً أيضاً، اعتنقها الملحد فصارت عقيدته أنْ لاعقيدة!، زد على ذلك أنَّ القائل بنظريات العلم الحديث لم يستقرء نظريات الفكر الديني كلها ليصل إلى هذه النتيجة التي يزعم أنَّها تناقض فكرة الدين التي تقضي بوجود إله خالق، بل العكس تماماً هو الذي ثبت، فإنَّ القرآن الكريم لم يأتِ بحقيقة علمية ثمَّ تبيَّن بعد ذلك أنَّها تخالف تلك العلوم التي احتج بها الملحدون، بل كانت حقائقه التي ذكرها سبباً في اعتناق بعض العلماء للإسلام، على الرغم من البعد الزماني، والمكاني بين نزول القرآن الكريم، وبين الذين أمنوا به عن طريق تلك الحقائق العلمية الحديثة(٧٥)، وإنْ كان الحال يقتضي أكثر من هذا المقال، ولكنْ أزعُم أنَّ الفكرة العامة قد استوفت البحث بما يتناسب والمقام.

المبحث الثالث

أمثلة تطبيقية تدل على المطلوب

سيكون هذا المبحث ميداناً تطبيقياً للنصوص القرآنية التي تحاور الملحدين، وأنَّ الغالب عليه هو الاعتماد على التفسير الموضوعي للقرآن الكريم (٧٦)، إذ سيكون تقسيم الأمثلة القرآنية بحسب الموضوع الذي تناوله النص القرآني، وذلك بالآتي:

١ـ عدم الوجدان لايدل على عدم الوجود:

على وفق هذه القاعدة العقلية التي معناها ومؤداها أنَّ عدم وجدان مانبحث عنه لايعني عدم وجوده، بل قد يكون تقصيراً منا في آليات البحث، وخطواته، أو لكون الشيء مما لايُدرك بالبصر؛ وغير محكوم بقوانين المادة، ومثال ذلك ماجاء في قصة النبي

موسى عليه السلام مع قومه الذين طلبوا منه رؤية الخالق جهرةً، ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(٧٧)، فذهب النبي موسى عليه السلام ليُخبر الله تعالى بذلك، لكنَّ الذي حدث من بعده أنَّ قومه اتخذوا العجل المتجسد صورةً حسية أمامهم، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِم مِّنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾(٧٨)، فطلب موسى عليه السلام من الله تعالى رؤيته، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٧٩)، وامتناع الرؤية ماكان إلا لأنَّ الخالق مما لايُدرك بالبصر، لا لأنّه ليس موجوداً، بل لأنَّه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾(٨٠)، فهو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٨١)، وربّما يُقال: إنَّ بني إسرائيل كانوا دينيين على خلاف الملحدين اللادينيين، غاية مافي الأمر أنَّهم أرادوا إلهاً ظاهراً ليعبدوه فلا يصح - والحالة هذه - أنْ يكون ذلك تمثيلاً في هذا المطلب! فيُقال: في هذه النصوص القرآنية يتحقق الميل بأجلى صوره، وهو المعنى العام للإلحاد، وإنَّ الجامع بين الإلحاد الاصطلاحي، وهذا الإلحاد - الذي صار صفةً لقوم موسى عليه السلام - هو التأثر بالمحسوس، فما لايُدرك بالبصر لا وجود له عندهم، فما كان رد القرآن على بني إسرائيل إلا أنْ قال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾(٨٢).

فنخلص إلى أنَّ المطلوب رؤيته لايُمكن أنْ يُدرك بالحواس، ليس لأنَّه غير موجود، بل لكون ماهيته تقتضي ذلك، أي أنَّ شؤون الخالق تختلف عن شؤون المخلوق وتُباينها، وهذا من تمام وجوده، بل من أظهر الحجج عليه؛ لأنَّ ((بديهية العقل تدل على عدم ألوهية شيء مما يشهده الإنسان من بشر وحيوانات وأشجار وجمادات؛ لأنها ولـيدة قوانين الوجود والحياة على غرار أمثالها الموجودة في الطبيعة))(٨٣)، فإنَّ المادة مُحْدَثة، وما هو مُحْدَث مخلوق، وكل مخلوق فانٍ، والخالق لابد أنْ يكون ليس مثل ماذُكر.

٢ـ دليل الخلق والإيجاد من العدم:

يعتقد الملحدون – مثلما تقدَّم آنفاً – أنَّ المادة قد صنعت نفسها بنفسها و هي أزلية، ولازم هذا القول أنَّ لا وجود للخالق الذي يعتقد به المؤمنون، فيأتي القرآن الكريم ليُبطل هذا الادعاء، ويقرر أنَّ من له فكر لايقول بذلك، وهذا ماجاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٨٤)، فلايُمكن لذي فكر أنْ يقول بتلقائيته من دون أن يُوعز ذلك لخالق، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٨٥)، وهذا التنظيم، والتوزيع الوظائفي للخلق يدل على وجود صانع حكيم.

ثم يأتي القرآن الكريم فيبيّن للإنسان أصل خلقه، وذلك بقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾(٨٦)، ثم يذكر مراحل خلق الإنسان وأدوارها ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٨٧)، ثم يأتي هذا الإنسان ويقول: لاخالق لي بل أوجدتني الطبيعة، ولكنَّ الله تعالى يقول له: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾(٨٨)، واللافت للنظر في هذه الآية أنَّ الإنسان قد شهد خلقه، من قبل! ثم في آية أخرى يُخبر الحق تعالى أنَّ العدم سبق على وجود هذا الإنسان، وذلك بقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾(٨٩)، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٩٠)، فكأنَّ الله تعالى قد عاتب الإنسان؛ لأنَّه نسي آية الذر، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(٩١)، وعلى مايبدو فإنَّ هذه الطريقة في عرض الاستذكار الخلْقي للإنسان هي طريقة الاستنتاج الاستدلالي تبعاً لمقدمة منطقية(٩٢)، إذ من المنطقي أن يعترف الإنسان بخالقه بعد أنْ أخذ الله تعالى الميثاق منه في عالم الذر، لكنَّ الذي حدث أنَّه شك في أصل خلقه!.

الخاتمة

وتشتمل على نتائج ظهرت لي بالبحث يمكن عدّها بالآتي:

١- لم يستعمل النص القرآني الشدة مع الملحدين في حواره، بل كان منهجه الحث على التفكر والتعقل فيما جاء بها من استدلالات وبراهين.

٢- ظهر لي من البحث أنَّ الحوار القرآني يتعامل مع منكري الخالق(الملحدين) اللادينين، والدينيين بأسلوب حواري واستدلالي واحد؛ ذلك بأنَّ منكر الآله(الملحد) والمشرك -الذي يعبد صنماً أو أي شيء يخال أنَّه إله - يتفقان على نظرية فكرية واحدة تجمعهما في هذا الاتجاه، وهي الفكرة المادية لوجود الإله.

٣- وظهر لي أيضاً أنَّ الأمر الضروري الحاصل بالبداهة من مثل١+١=٢، قد حوّله الحوار القرآني إلى أمر نظري: وهو الأمر الذي يحتاج في إثباته إلى برهان، وهذا مايُسمى بالتنزل الجدلي في فن الحوار.

٤- كانت الآيات التي حاور بها النص القرآني الملحدين تتخذ طابعاً استمرارياً في الزمان، وذلك بدلالة الصيغ النحوية التي استعملها النص القرآني في حواره، وذلك يعني أنَّ هذا المنهج في الحوار لايبلى مع تقادم الزمان.

٥- لم يتجاهل النص القرآني في حواره أي فكرة للملحدين، بل كان يحوّل إشكالاتهم ومغالطاتهم إلى مادة علمية تخضع لأصول الحوار والمناظرة، وذلك من مثل خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان نفسه.

٦- لم أستطع الإحاطة بتفاصيل الموضوع كلها، ولم يكن ذلك عن كلالة مني، بل كان ذلك ضرورة فرضها حجم الموضوع، والنتيجة التي أتوقعها من ذلك أنْ تتظافر جهود الباحثين في إخراج هذا المنهج إلى حيز الحوار العلمي الحديث.

هوامش البحث

(١) المائدة:٤٨.
(٢) المعجم الوسيط: باب(النون).
(٣) مناهج البحث العلمي:٣.
(٤) نهج البلاغة:٣٠٤.
(٥) الكهف:٣٤.
(٦) الكهف:٣٧.
(٧) المجادلة:١.
(٨) الانشقاق:١٤.
(٩) أساس البلاغة: باب(الحاء).
(١٠) المعجم الأدبي:٩١.
(١١) يس:٧٧-٧٩.
(١٢) ظ: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن:٤٨٩. ومابعدها.
(١٣) ظ: الحوار في الدعوة إلى الله (مجالات الحوار الدعوي):https:www.alukh.net
(١٤) معجم مقاييس اللغة: كتاب(اللام).
(15) ظ: مفردات ألفاظ القرآن: كتاب(اللام).
(١٦) المصباح المنير: كتاب (اللام).
(١٧) النحل:١٠٣.
(١٨) الكهف:٢٧.
(19) الجن:٢٢.
(٢٠) الحج:٢٥.
(٢١) الأعراف:١٨٠.
(٢٢) سورة فصلت:٤٠.
(٢٣) الإلحاد (أسبابه ومفاتيح علاجه):٢٧.
(٢٤) ظ: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٢١/٩٥.
(٢٥) الجاثية:٢٤.
(٢٦) ظ: شبهات الملحدين والإجابة عنها:١٤.
(٢٧) كتاب العين مرتباً على حروف المعجم: باب(الفاء).
(٢٨) المصدر نفسه: باب(الفاء).
(٢٩) اتجاه الدين في مناحي الحياة:٢١.

(٣٠) البقرة:١٦٤.
(٣١) في المبحث الثالث من هذا البحث.
(٣٢) ظ: شذا العرف في فن الصرف:٥٦.
(٣٣) ظ: شرح قطر الندى وبل الصدى:٨٠.
(٣٤) ظ: نهج البلاغة:٢٦٠.
(٣٥) ظ: نحو المعاني:١٢١.
(٣٦) ظ: شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني:٤٨/١.
(٣٧) الجاثية:١٣.
(٣٨) ظ: الميزان في تفسير القرآن:١٥٨/١٨.
(٣٩) لكي يتسلسل البحث آثرتُ ذكر ذلك في هذا الموضع؛ ووجدت ذكره في مستهل البحث ليس بمستقيم.
(٤٠) ظ: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي (دراسة نقدية في ضوء الإسلام):٤٥٨. ومابعدها.
(٤١) ظ: نفي اللاهوت (فيزياء الميتافيزيقا):١٩. ومابعدها.
(٤٢) حقيقة الدين:٢٤.
(٤٣) ظ: مواجهة الإلحاد في منطلقاته المعرفية:١٧٧.
(٤٤) منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين:١٣.
(٤٥) شبهات الملحدين والإجابة عنها؛ محمد جواد مغنية:٢١.
(٤٦) الاحتجاج:٥٩/٢.
(٤٧) المنطق؛ محمد رضا المظفر:٤٧٩/٣.
(٤٨) فصلت:٥٣.
(٤٩) ظ: بداية المعرفة:٦٣.
(٥٠) آل عمران:١٩٠.
(٥١) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر:١١
(٥٢) ظ: المصدر نفسه:١١. ومابعدها.
(٥٣) بداية المعرفة؛ حسن مكي العاملي:٥٩.
(٥٤) يونس:١٠١.
(٥٥) الغاشية:١٧-٢٠.
(٥٦) ظ: بداية المعرفة:٦٥.
(٥٧) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:٢٠١/٢-٢٠٣.
(٥٨) المصدر نفسه:٢٠٣/٢.
(٥٩) الذاريات:٢٠. ومابعدها.

(٦٠) الروم:٨.
(٦١) بداية المعرفة:٦٣. ومابعدها.
(٦٢) الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد:٣٠.
(٦٣) ظ: الرسالة الخراسانية في شرح من عرف نفسه عرف ربه: ١٥
(٦٤) الأعراف:١٧٢.
(٦٥) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:٥٦٤/٤-٥٦٦.
(٦٦) إبراهيم:١٠.
(٦٧) مفاتيح الجنان:٢٩١.
(٦٨) خواطر:٩٧.
(٦٩) نُسبت هذه النظرية في العصر الحديث إلى العالم الغربي باليز باسكال الذي ناظر الملحدين وراهنهم بها، فصارت نظريته تُسمى بـ (رهان باسكال).
(٧٠) أصول الكافي:١٠٠/١. ومابعدها.
(٧١) الإنسان:٣.
(٧٢) منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين:١٣.
(٧٣) ظ: شبهات الملحدين والإجابة عنها: ١٣.
(٧٤) ظ: المصدر نفسه:٨.
(٧٥) ظ: الله يتجلى في عصر العلم؛ نخبة من العلماء الأمريكيّين:٩.
(٧٦) وهو التفسير الذي يحاول أنْ يستحصل أوجه الارتباط بين المدلولات التفصيلية حتى يـ صل إلى مر كب نظري قرآني. ظ: المدرسة القرآنية:٢٢.
(٧٧) الأعراف:١٣٨.
(٧٨) الأعراف:١٤٨.
(٧٩) الأعراف:١٤٣.
(٨٠) الأنعام:١٠٣.
(٨١) الشورى:١١.
(٨٢) البقرة:٥٥.
(٨٣) حقيقة الدين:٤٥.
(٨٤) الرعد:٣.
(٨٥) النور:٤٥.
(٨٦) النحل:٤.
(٨٧) المؤمنون:١٤.

(٨٨) مريم:٦٧.
(٨٩) الإنسان:١.
(٩٠) النحل:١٧.
(٩١)الأعراف: ١٧٢.
(٩٢) ظ: أصول البحث العلمي:١/٣٠.

قائمة المصادر والمراجع

إنَّ خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١- اتجاه الدين في مناحي الحياة؛ محمد باقر السيستاني؛ النشر: دار الهجرة؛ ط١؛ النجف الأشرف؛١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٢- الاحتجاج؛ الشيخ أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي(ت:٦٢٠هـ)؛ تعليق: محمد باقر الموسوي الخراساني؛ الناشر: دار ذوي القربى؛ ط٤؛ قم؛١٤٣٠هـ.

٣- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد؛ الشيخ المفيد الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العُكبري البغدادي(ت:٤١٣هـ)؛ تحقيق: مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث؛ ط١؛ بيروت؛ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤- أساس البلاغة؛ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري(ت:٥٣٨هـ)؛ تحقيق: محمد باسل عيون السود؛ الناشر: دار الكتب العلمية؛ ط١؛ بيروت؛١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٥- أصول البحث العلمي؛ د. أحمد عبد المنعم حسن؛ الناشر: المكتبة الأكاديمية؛ ط١؛ القاهرة؛١٩٩٦م.

٦- أصول الكافي؛ محمد بن يعقوب الكليني الرازي؛ النشر: دار الأسرة للطباعة والنشر؛ ط٥؛ إيران؛١٤٢٥هـ.

٧- الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد؛ الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي(ت:٤٦٠هـ)؛ الناشر: دار الأضواء؛ ط٢؛ بيروت؛١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨- الإلحاد (أسبابه ومفاتيح علاجه)؛ محمد ناصر؛ الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية (العتبة الحسينية المقدسة)؛ ط١؛ بلا؛٢٠١٧م.

٩- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل؛ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي؛ الناشر: دار الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام؛ ط٣؛ قم؛١٤٣٣هـ.

١٠- بداية المعرفة؛ الشيخ حسن مكي العاملي؛ الناشر: مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية؛ ط١؛ النجف الأشرف؛١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١١- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ أبو جعفر محم بن جرير الطبري(ت:٣١٠هـ)؛ تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ الناشر: دار هجر؛ ط١؛ القاهرة؛١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٢- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي(ت:٦٧١هـ)؛ تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ ط١؛ بيروت؛١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

١٣- الحوار في الدعوة إلى الله (مجالات الحوار الدعوي)؛ مقالة؛ د. هند بنت مصطفى شريفي،٢٠١٦م/١٤٣٧هـ؛ نقلاً من شبكة الآلوكة؛ الموقع:https:www.alukh.net

١٤- خواطر؛ بليز باسكال ترجمة: أدوار البستاني؛ الناشر: المكتبة الشرقية؛ (د.ط)؛ بيروت؛١٩٧٢م.

١٥- الرسالة الخراسانية في شرح من عرف نفسه عرف ربه؛ الشيخ محمد آل أبي خمسين الأحسائي(ت:١٣١٦هـ)؛ تحقيق وتعليق: الشيخ عبد المنعم العمران؛ الناشر: دار المحجة البيضاء؛ ط١؛ بيروت؛١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

١٦- شبهات الملحدين والإجابة عنها؛ محمد جواد مغنية؛ الناشر: دار الهلال؛ دار الجواد؛ (د.ط)؛ بيروت؛١٩٨٦م.

١٧- شذا العرف في فن الصرف؛ الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الحملاوي(ت:١٣١٥هـ)؛ قدم له وعلَّق عليه: د.محمد بن عبد المعطي؛ خرّج شواهده ووضع فهارسه: أبو أشبال أحمد بن سالم المصري؛ الناشر: دار الكيان؛ (د.ط)؛ الرياض؛ (د.ت).

١٨- شرح المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني؛ سعد الدين التفتازاني(ت:٧٩١هـ)؛ الناشر: إسماعيليان؛ ط٣؛ إيران؛١٤٢٨هـ.

١٩- شرح قطر الندى وبل الصدى؛ أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري(ت:٧٦٢هـ)؛ الناشر: دار ذوي القربى؛ ط٣؛ قم؛١٤٢٦هـ.

٢٠- كتاب العين مرتباً على حروف المعجم؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت:١٧٠هـ)؛ ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية؛ ط١؛ بيروت؛٢٠٠٣م.

٢١- الله يتجلى في عصر العلم؛ نخبة من العلماء الأمريكيّين؛ تحرير: جون كلوفر مونسيما؛ ترجمة: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان؛ راجعه وعلّق عليه: د.محمد جمال الدين الفندي؛ الناشر: دار القلم؛ (د.ط)؛ بيروت؛ (د.ت).

٢٢- المدرسة القرآنية؛ السيد محمد باقر الصدر؛ الناشر: مؤسسة الثقلين الثقافية؛ ط١؛ كربلاء؛١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٢٣- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي (دراسة نقدية في ضوء الإسلام)؛ د.عبد الرحمن بن زيد الزنيدي؛ تقديم: أ.عمر بن عبد الله بن عودة الخطيب؛ الناشر: مكتبة المؤيد؛ ط١؛ السعودية؛١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٤- المصباح المنير؛ أحمد بن محمد الفيومي الحموي(ت:٧٧٠هـ)؛ اعتنى به وراجعه: أحمد حاد؛ الناشر: دار الغد الجديد؛ ط١؛ القاهرة؛١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٢٥- المعجم الأدبي؛ جبور عبد النور؛ الناشر: دار العلم للملايين؛ ط٢؛ بيروت؛١٩٨٤م.

٢٦- المعجم الوسيط؛ مجمع اللغة العربية؛ الناشر: المكتبة الإسلامية؛ (د.ط)؛ بلا؛ (د.ت).

٢٧- معجم مقاييس اللغة؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت:٣٩٥هـ)؛ تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون؛ الناشر: دار الفكر؛ (د.ط)؛ بلا؛ (د.ت).

٢٨- مفاتيح الجنان؛ الشيخ عباس القمي؛ الناشر: دار القارىء؛ ط١؛ بيروت؛١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٢٩- مفردات ألفاظ القرآن؛ الراغب الأصفهاني (المتوفى في حدود٤٢٥هـ)؛ الناشر: دار طليعة النور؛ ط٤؛ قم؛ ١٤٢٩هـ.

٣٠- مناهج البحث العلمي؛ عبد الرحمن بدوي؛ وكالة المطبوعات؛ ط٣، الكويت؛١٩٧٧م.

٣١- منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين؛ أفنان بنت حمد بن محمد الغماس؛ الناشر: مركز دلائل؛ ط١؛ الرياض؛١٤٣٨هـ.

٣٢- مواجهة الإلحاد في منطلقاته المعرفية؛ الشيخ حيدر السندي الأحسائي؛ الناشر: دار الكفيل؛ (د.ط)؛ العراق؛ (د.ت).

٣٣- الميزان في تفسير القرآن؛ السيد محمد حسين الطباطبائي؛ الناشر: مؤسسة الأعلمي؛ ط١؛ بيروت؛١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣٤- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر؛ العلامة الحلي أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف(ت:٧٢٦هـ)؛ شرح: الفاضل المقداد السيوري(ت:٨٢٦هـ)؛ الناشر: مؤسسة أهل البيت:؛ (د.ط)؛ بيروت؛(د.ت).

٣٥- نحو المعاني؛ د. أحمد الجواري؛ الناشر: المجمع العلمي العراقي؛ (د.ط)؛ العراق؛١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٣٦- نفي اللاهوت (فيزياء الميتافيزيقا)؛ ميشيل أونفري؛ ترجمة: مبارك العروسي؛ الناشر: دار الجمل؛ (د.ط)؛ بغداد؛٢٠١٢م.

٣٧- نهج البلاغة؛ الإمام علي بن أبي طالب؛ جمعه: الشريف الرضي؛ تقديم وشرح: الشيخ محمد عبده؛ الناشر: دار المختار؛ ط١؛ القاهرة؛١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.